

نساء الانتفاضة

الاثنين 2021/3/22

العدد 68



اسيل رماح

وداعاً نوال السعداوي



« مذكرات في سجن النساء » تناولت فيه العديد من القضايا التي كانت تدور خلف القضبان ولم تكن التجربة الوحيدة لها، فقد كانت متصلة مع سجينات لأعوام واتخذتها كملهمتها لروايتها « عند نقطة الصفر ».

توفيت نوال في ٢١ آذار ٢٠٢١ عن عمر يناهز ٩٠ عاماً، بعد صراع مع المرض.

تسعون عام من العطاء وكسر الاغلال وتحطيم قيم العبودية الفكرية، كانت نوال سعداوي وستبقى منارة من منارات الفكر التي أثرت على الآلاف من النسويات والمهتمين بالإصرار والوضوح في الرؤية.

ان ما يميز مسيرة هذه المناضلة الفذة هو تبنيتها للخط السياسي الاشتراكي الثوري، والذي لم تتخلى عنه طوال عمرها الحافل بالإنجازات، وهذا الخط الوحيد الذي يرى تحرر المرأة الحقيقي هو بتحرر المجتمع اجمع من هيمنة الطبقة الرأسمالية وأدواتها وقواها وايدولوجياتها المختلفة، فتحرر المجتمع والمرأة بشكل خاص من هيمنة هذه الفئة هو الخلاص الحقيقي.

المجد لك ايها المناضلة الشرسة والتي لم تهادن أو تضعف في سبيل مبادئها التحريرية الاشتراكية المساواتية، ستبقى افكارك ارثا يحثنا على متابعة طريق النضال نحو الحرية والمساواة.

وداعاً نوال سعداوي

ولدت المفكرة والطبيبة نوال السعداوي في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٣١، في مصر من عائلة تقليدية ومحافظة، وفي عام ١٩٥٥ حصلت على بكالوريوس الطب والجراحة من كلية الطب بجامعة القاهرة، خلال عملها كطبيبة لاحظت المشاكل النفسية والجسدية للمرأة الناتجة عن الممارسات القمعية للمجتمع، والعنف الأسري المسلط على المرأة بشكل كبير.

ففي أثناء عملها كطبيبة في مكان ميلادها بكفر طحلة، لاحظت الصعوبات والتمييز الذي تواجهه المرأة الريفية. وكنتييجة لمحاولتها للدفاع عن إحدى مرضاها من التعرض للعنف، تم نقلها مرة أخرى إلى القاهرة لتصبح في نهاية المطاف المدير المسؤول عن الصحة العامة في وزارة الصحة.

اشتهرت نوال بكتابتها الجريئة وتمردها على النظام الأبوي الرأسمالي الطائفي الحاكم، وبكونها مناضلة وكاتبة نسوية مدافعة عن حقوق النساء ومؤمنة بان تحرر المرأة مرهون بتحرر المجتمع من الصراع الطبقي، وبان جذر اضطهاد المرأة يرجع الى النظام الرأسمالي الذي تدعمه المؤسسات الدينية، كما ترى ان نضام الميراث الإسلامي ظلم كبير للمرأة وهي أشهر من نادى لسنوات عدة بتحرير المرأة من قيودها في المجتمع وبمساواتها مع الرجل في الميراث. وبسبب آرائها تم اسقاط الجنسية المصرية وارغامها على السفر خارج مصر فسلبت حريتها، وعزلت من وظيفتها، وأدرج اسمها في قائمة الاغتيالات، ولم يكن أمامها إلا أن تبحث عن الحرية والأمان في مكان آخر، ولكن أينما ذهبت فقضية المرأة هي شاغلها الأكبر، فظلت تكتب عنها واليها. نشرت الراحلة نوال سعداوي (٥٦) كتابا بالإضافة إلى مئات المقالات، وتنوعت بين العلمية والأدبية مثل القصص والروايات، وجميعها تناولت واقع المرأة في مختلف مناطق العالم وكيفية تخليصها من قيود الأنظمة الاستغلالية على مر تاريخ طويل من الاضطهاد، وكذلك كتبت عن الكثير من الموضوعات التي تمس بالنتيجة النهائية المجتمع بشكل عام والنساء خصوصا، وأبرز هذه الموضوعات هي الدين والجنس والسياسية، كما ركزت على فضح توظيف هذه المفاهيم في خدمة وبقاء الحال على ما هو عليه من استغلال واستعباد للإنسان.

عملت نوال سعداوي على تأسيس مجلة نسوية بعنوان «المواجهة» والتي على أثرها حكم عليها بالسجن عام ١٩٨١، وفور خروجها قامت بكتابة كتابها الشهير

كلمة بحق نوال السعداوي

إقبال صلال

وتعدد الزوجات وعدم المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث وفي كل شيء، كما نالت شهرة كبيرة لانتقادها الصريح لظاهرة ختان الإناث الذي تعرضت له حين كان عمرها ستة سنوات فقط، ورفعت راية المطالبة بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة، وبسبب مواقفها الجريئة وصراعها مع الأفكار الرجعية تعرضت للسجن في زمن انور السادات، والكثير من فتاوى التكفير والتهديد بالقتل والتهم بحجة ازدياد الأديان.



كانت الراحلة نوال السعداوي مؤمنة ان تحرر المرأة مرهون بالنظام الاشتراكي، وكانت تقول ان التحول الى الاشتراكية الحقيقية يزيد من تحرر النساء بالمعنى

الحقيقي للتحرر، ان هذه الحريات والحقوق الأساسية لأي انسان لن تستردها المرأة الا في ظل مجتمع نجح في التخلص من النظم الطبقيّة والأبوية معاً.

ان رحيل نوال السعداوي سيعطي للكثير من النسويات ولمنظمات المجتمع المدني دافعا قويا للاستمرار في معركة المساواة، المعركة من اجل الحرية، وإلغاء كل القوانين المجحفة بحق المرأة.

ستبقى نوال السعداوي شعلة وهاجة، في درب كل المتطلعين للحرية والمساواة، ليتخذ ذكراها عند كل محيبيها. وأخيرا اقتبس اليكم إحدى أعظم مقولاتها

«جريمتي الكبرى أنني امرأة حرّة في زمن لا يريدون فيه إلا الجوّاري والعبيد»،

«ولدت بعقل يفكر في زمن يحاولون فيه إلغاء العقل»

لها المجد والذكر الطيب

قالو عنها (انت امرأة متوحشة وخطيرة)

فقلت (انا اقول الحقيقة والحقيقة متوحشة وخطيرة)

رحلت عنا الطيبة والكاتبة والناشطة النسوية المدافعة عن حقوق وحرية المرأة نوال السعداوي عن عمر ناهز ال ٩٠ عاما.

رحلت عنا نوال السعداوي وتركت خلفها تاريخ حافل بالكثير في مجال الدفاع عن حقوق المضطهدين والكادحين، وحقوق المرأة على وجه الخصوص، ولقد تحدث الكثير من التابوهات والعادات الاجتماعية البالية والتي تحد من حرية المرأة في العالم وفي المنطقة العربية على وجه الخصوص، فضلا عن نتائجها الفكري والأدبي الكبير والعظيم.

وشكلت نوال السعداوي ولعقود طويلة رمزا بارزا للكفاح النسوي في العالم العربي، فأن مواقفها كانت قد أثارت جدلا واسعا خصوصا بسبب مجاهرتها في تحدي المحظورات المتصلة بثلاثية الدين والجنس والسياسة.

لقد كانت السعداوي وعلى طول مسيرتها ضد الحجاب

عاش الثامن من اذار يوم المرأة العالمي